يا فرحي أنا متقاعد

محمد سعيد المولوي - سورية

كانت الموافقة على إحالتي على التقاعد إحدى الأمنيات . إذ لن يكون من الواجب عليَّ أن أستيقظ صباحا باكرا وأرتدي ملابسي بسرعة وأخرج إلى المدرسة . ولن يكون عليّ أن أتعامل مع عقليات مختلفة ، وسأتخلص من الوقوف ست ساعات أمام لوحة الصف أشرح وأفصل وأبين.

حين أبلغت بخبر إحالتي على التقاعد كدت أطير من فرحي. فهأنذا اليوم كالعصفور الذي كان في القفص وأفلت منه، وما كان فرحي لأني لم أكن أحب عملي أو كنت متضايقا منه. لا . ليس ذلك. وأنا صادق فيما أقول، ولكن إصابتي بخثرة دموية في ساقي جعلت الوقوف عليّ صعبا ، وما كان للمدرس أن يلقي دروسه على طلابه وهو جالس ، إذا لنام الطلاب من غير أن يشعروا. لقد نمت في نفسي الرغبة في ولوج ساحة التقاعد، فإن الحياة فيها ستكون أفضل من سابقتها كما اعتقدت.

أمضيت أمسية انفصالي عن العمل وأنا أحدث أهلي عن عملي وما كنت ألقى فيه من لذة وسعادة مبينا لهم أن ما سيأتي من الأيام سيكون أكثر لذة وأغنى سعادة.

أويت إلى فراشي متأخرا وحين قمت أصلي الفجر نسيت تماما أني محال إلى التقاعد فرصدت الساعة على السادسة والنصف صباحا. وحين قرع جرسها قمت ملهوفا مسرعا خشية أن أكون قد تأخرت في الاستيقاظ وأسرعت إلى ملابسي فلبستها ورجلت شعري، ولم أشعر أن زوجتي قد أيقظها رنين الساعة وأنها كانت تراقب حركاتي، حتى إذا انتهيت وأردت الخروج من الدار، صاحت بي: إلى أين إن شاء الله، وما هذا الاستيقاظ المبكر ، ولمن ستروح؟! قل لي ولا تتكتم، ها أنذا أمسكتك باليد..

دهشت من كلامها وتعجبت وصحت بها محنقا: وإلى أين سأذهب ؟!! أنا ذاهب إلى المدرسة لأداء عملي.

وضحكت ضحكة صفراء وقالت وصوتها كله تحد واستفزاز: أي عمل هذا يا أستاذ؟ هل نسيت أنك قد أحلت على التقاعد وأنه لا عمل عندك!! اعترف أنك ذاهب إليها، إن الشك لا يزال يحوك في صدري منذ اليوم الذي حدثتني أنه قد نقل إلى مدرستكم مجموعة من المدرسات، وأثنيت على إحداهن بأنها جميلة وأنيقة وهادئة ومتحدثة لبقة ، ومنذ أن تغير وقت خروجك صباحا إلى المدرسة، فلا ريب أن بينكما علاقة تدفعك إلى الذهاب مبكرا فتمر بها، اعترف وأرحني بدلا من أن تتركني أتقلب على نار الشك.

طار صوابي حين سمعت كلامها، وقلت: ماذا تقولين يا امرأة؟ أي شك وأية أوهام وأية زوجة ثانية، وما تغيرُ المواعيد ، والذهابُ إلى أخرى، هل كنت تحلمين؟!

أنا ما عرفت امرأة سواك ولا اتخذت غيرك زوجة، وما أحببت غيرك فتاة ، ثم هل تغير وقت دروسي في المدرسة وجعلها صباحا يجعلني بالضرورة متزوجا أخرى وأني أسعى إليها كل صباح..؟ وصاحت بعصبية: نعم نعم، مثل وتظاهر واستعمل حلوالكلام وابق على خديعتي، فما معنى أن تخرج صباحا باكرا وليس لك عمل..؟ ولم أجد حلا لهذه المشكلة سوى أن أحضر المصحف وكأكبر المجرمين أضع يدي وأقسم لها بالله: إنني نسيت أنه لا دوام لي ولا عمل، وإنه لا يوجد في حياتي امرأة سواها.. وقلت: اطمئني لن أخرج من البيت إلا إذا أذنت لي، وقومي فهيئي لي الفطور.

أكلنا صامتين، والدمع في عينيها، والغضب في وجهي، وحين انتهينا قلت: هل تسمحين لي أن أذهب إلى دائرة التأمينات لأنهي معاملة استخراج الراتب التقاعدي؟.

كانت الدائرة بناء من عدة طوابق وعشرات الغرف وكان عليّ أن أخرج من غرفة لأدخل أخرى ، واستغرق الأمر قرابة ساعتين. وحين دفع الموظف لي قرار المرتب، كنت أظن أنه سيكون قريبا من مرتبي الأصلي، حين كنت أعمل، وإذا هو لا يكاد يبلغ مع جميع التعويضات الثلث، فصدمت وقلت للموظف: ما هذا يا أخي؟! فنظر إليّ مبتسما ساخرا وقال: ألا يسمونك متقاعدا.. افهمها بنفسك ■